العرب
الأحد 2021/11/21
السنة 44 العدد 12247

صفقة إف – 16 ورقة ضغط بيد واشنطن لعرقلة التحالف بين تركيا وإيران

الظروف الصعبة للرئيس التركي تسهل على الأميركيين فرض شروط مختلفة

بايدن يعلق بيع الأسلحة لتركيا حتى تغير سياساتها

تجد إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن نفسها في وضع يسمح لها بممارسة ضغوط على الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وخاصة رغبته في الحصول على طائرات إف - 16، لوقف التعاون الاقتصادي والتجاري المتقدم مع إيران وإجباره على الالتزام بسياسات "الناتو" تجاهها.

نيويورك – لا ترفض الولايات المتحدة بيع طائرات إف – 16 الحديثة لتركيا للتعويض لها عن خسارة مشاركتها في صناعة مقاتلات إف – 35، لكنها تريد من أنقرة أن تغير من سلوكها السياسي لتكون أقرب إلى سياسيات الحلف الأطلسي سواء في العلاقة مع روسيا أو مع قوى إقليمية مثل إيران.

وتشهد العلاقات بين البلدين منذ سنوات حالة من التوتر، وهي ترجع في الأساس إلى الخلاف بين الدولتين حول شراء أنقرة لمنظومة إس – 400 الصاروخية الروسية للدفاع الجوي، وكذلك الموقف من الحرب في سوريا خاصة استمرار أنقرة في معاداة الأكراد والقيام بهجمات ضدهم، وتكوين قوات للمعارضة السورية نجحت في السيطرة على مدن وقرى كردية مختلفة.

مصير غامض

تواجه صفقة شراء مقاتلات من طراز إف – 16 التي تقدمت تركيا للحصول عليها من الولايات المتحدة مصيرا ضبابيا هي الأخرى. وتتزايد الخلافات في وجهات النظر بشأن الكثير من القضايا السياسية والعسكرية بين البلدين، خاصة في ما يتعلق بملف حقوق الإنسان وسوريا. وتأمل أنقرة منذ فترة طويلة في أن تغير الولايات المتحدة رأيها بعد أن تم استبعادها من قبل واشنطن من برنامج إف – 35 المتقدم بعد شرائها لنظام روسي مضاد للصواريخ.

لكي توافق الولايات المتحدة على مبيعات المعدات العسكرية لأردوغان يتعين على تركيا خفض حجم تجارتها مع إيران

ويقول مراقبون إن الرئيس الأميركي جو بايدن في وضع مريح تجاه تركيا التي تعيش أوضاعا اقتصادية صعبة وتحتاج إلى دعم خارجي، ما يسهل عليه التدخل لإنهاء محاولتها تقويض الأمن الأوروبي ووقف تحولها الخطير نحو روسيا وإيران. فالمعروف أن تركيا تسعى جاهدة للحصول على طائرات إف – 16 الأميركية ومعدات التحديث.

ومن ناحية أخرى يشهد الدعم السياسي الداخلي للرئيس التركي رجب طيب أردوغان تراجعا شديدا في ظل الأزمات المتعددة. ويمكن لبايدن أن يدرك أن لديه فرصة لتحقيق أهداف استعصت على أسلافه. فبإمكانه وقف خروج تركيا من الفلك الغربي، لكن أساسا الضغط عليها من أجل تعديل سياسة التقارب مع إيران، والتي تجسدت في الزيارة الأخيرة لوزير خارجيتها مولود جاويش أوغلو إلى طهران والإعلان عن خطط لتطوير التعاون بين البلدين.

وقال جاويش أوغلو في مؤتمر صحافي مشترك مع نظيره الإيراني حسين أمير عبداللهيان إن البلدين سعملان على تحديد خارطة طريق من أجل تعاون شامل طويل الأمد بناء على طلب إيراني.

وأوضح أن تركيا أكدت في كافة المنابر أن العقوبات الأحادية ضد إيران خاطئة، مضيفًا "نعتقد بضرورة اتخاذ كافة الأطراف الخطوات المطلوبة من أجل تفعيل خطة العمل الشاملة المشتركة (الاتفاق النووي)، وخاصة الذين انسحبوا منها، ويجب رفع العقوبات الأحادية عن إيران".

وخلال السنوات الماضية وقفت أنقرة ضد العقوبات الأميركية على طهران ولم تلتزم بها، وظل التعاون الاقتصادي والسياسي بينهما متينا، فضلا عن التقارب تجاه قضايا إقليمية. وستكون ورقة إف – 16 مهمة في إلزام أنقرة بالتوجه الأميركي، وفق ما يقول المراقبون.

ويرى الكاتب الأميركي دانيال روث، مدير الأبحاث في منظمة "متحدون ضد إيران نووية" في تقرير نشرته مجلة "ناشونال إنتريست"، أنه لكي توافق الولايات المتحدة على مبيعات المعدات العسكرية لأردوغان، يتعين على تركيا خفض حجم تجارتها مع إيران، وقطع السبيل أمام وصول إيران إلى البنوك التركية، وتصنيف حزب الله كمنظمة إرهابية.

وتعتبر تركيا جسر إيران للحصول على البضائع الأوروبية، ما يجعل من الحدود بين تركيا وإيران والتي يبلغ طولها 530 كيلومترا نقطة ضعف واضحة بالنسبة إلى تنفيذ العقوبات الأميركية والأوروبية.

استعداد تركي للتراجع

منذ عام 2016 حددت منظمة "متحدون ضد إيران نووية" أكثر من 70 شركة تركية يشتبه أنها تتعامل بصورة غير مباشرة مع النظام الإيراني، وقامت المنظمة بالتواصل معها. ويتعين على تركيا إن كانت تريد بناء علاقة هادئة مع واشنطن أن تقيّد بشكل قوي التدفق التجاري لإيران من خلال إغلاق حدودها البرية معها، وهو ما فعلته مرات كثيرة في الماضي القريب.

وأضاف روث أنه يتعين على تركيا أيضا منع بنك عودة وفرعه التركي من العمل داخل حدود إيران.

ووفقا لقضية فيدرالية يعدّ بنك عودة واحدا من 13 بنكا لبنانيا تدعم منذ وقت طويل إنتاج القنابل والذخيرة التي يصممها حزب الله وتصنعها إيران. ومثل تلك القنابل قتلت أو جرحت أكثر من 1000 أميركي كانوا يعملون في العراق. وكخطوة تكميلية يتعين على أنقرة منع جميع البنوك التركية من التعامل مع البنوك المتهمة بغسيل الأموال وتسهيل الإرهاب الذي ترعاه إيران.

وبالمثل يجب على بايدن أن يكون مستعدا لمنع البنوك الأميركية من الارتباط بعلاقات مراسلة مع المؤسسات المشتبه بها، وهذا من شأن القيادة القائمة على المبادئ، والالتزام تجاه دعم السيادة اللبنانية. وبالنسبة إلى تركيا سوف يساعد ذلك في تحسين الثقة في التجارة ويوضح أن ممارسة التجارة في تركيا ذات مخاطر منخفضة لأنها ليست كذلك الآن.

كما أن كل ذلك سوف يساعد في تحسين سمعة تركيا المالية العالمية التي عانت من ضربة في الحادي والعشرين من أكتوبر الماضي عندما أضافت مجموعة العمل المالي تركيا إلى قائمة الدول ذات "النواقص الاستراتيجية" في لوائحها الخاصة بمنع غسيل الأموال ومكافحة تمويل الإرهاب.

ويقول روث إنه ينبغي أيضا على تركيا الانضمام إلى الدول الأوروبية الاثنتي عشر والأعضاء التسعة في مجموعة العشرين الذين صنفوا حزب الله بصفة كاملة أو جزئيا كمنظمة إرهابية.

وقد اعترف كل منها بالتأثير الضار لحزب الله على لبنان وقيمة جهوده بالنسبة إلى إيران من خلال تزويدها بقاعدة تشغيل متقدمة على البحر المتوسط. ويجب أن يطلب بايدن إجراء مماثلا من أنقرة. كما يتعين أن يتصدر ذلك طلب أن يكون مثل هذا التصنيف كليا.

ويضيف روث أن من المحتمل أن يجد بايدن آذانا صاغية لمثل هذه القائمة من الرغبات.

وعموما فقد تدهورت العلاقات بين إيران وتركيا بشكل ملحوظ خلال العام الماضي. وأحبطت أجهزة المخابرات وإنفاذ القانون خطة إيرانية لاختطاف مسؤول عسكري إيراني سابق يعيش في تركيا لنقله إلى طهران. وسبق ذلك ما وصل إلى حد قطع العلاقات بسبب دعم إيران لعدو تركيا اللدود أرمينيا في حرب ناغورني قرة باغ عام 2020.

ولا بد أن يكون لدى تركيا استعداد للتراجع في العلاقات مع النظام الإيراني، ولكن إذا لم يكن الأمر كذلك فإن لدى الولايات المتحدة الآن القوة للضغط على أردوغان لإصلاح المسار.

ويختتم روث تقريره بالقول إن أردوغان قال مؤخرا "سيكون الموضوع الأكثر أهمية هو قضية طائرات إف – 35 الخاصة بنا"، في إشارة إلى جهود تركيا لاستعادة استثماراتها المفقودة بعد وقف استحقاقها لتلك الطائرات في أعقاب تلقي أنقرة للمنظومة الصاروخية الروسية. ويتعين على بايدن التعرف على مدى أهمية هذا الأمر، ومدى استعداد أردوغان لإصلاح العلاقات بين الولايات المتحدة وتركيا.

وكان مشرعون أميركيون من الحزبين الديمقراطي والجمهوري قد حثوا إدارة بايدن على عدم بيع طائرات إف – 16 المقاتلة لتركيا، وعبروا عن ثقتهم في أن الكونغرس سيعرقل صفقة من هذا القبيل.

وفي رسالة إلى بايدن ووزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن أبدى 11 عضوا بمجلس النواب "شعورا عميقا بالقلق" إزاء تقارير حديثة عن احتمال شراء تركيا 40 طائرة إف – 16 جديدة من إنتاج لوكهيد مارتن، و80 من معدات التحديث للطراز نفسه.

وكتب المشرعون أنه "في أعقاب إعلان الرئيس رجب طيب أردوغان في سبتمبر أن تركيا ستشتري دفعة أخرى من منظومة الدفاع الصاروخي إس – 400، فلا يسعنا أن نعرض أمننا القومي للخطر بإرسال طائرات أميركية الصنع إلى حليف يواصل التصرف كخصم".

أزمات الشرق الأوسط تدفع الآلاف إلى الهجرة من أجل حلم أوروبا

بيروت – على نحو لافت للانتباه توقف عدد كبير من الشباب أمام لوحة عرض مواعيد الرحلات في صالة المغادرة بمطار بيروت مساء يوم الجمعة الماضي. كان هؤلاء الشباب مسافرين إما بمفردهم أو برفقة صديق، وبحوزتهم حقيبة ظهر واحدة أو أمتعة أخرى صغيرة، والوجهة هي العاصمة البيلاروسية مينسك على متن طائرة "بوينغ 737" تابعة لشركة الطيران "بيلافيا".

لا أحد منهم يريد التحدث، وإذا رغب أحدهم في الحديث فلا تخرج منه سوى كلمات مقتضبة. يقول أحدهم إنه سيسافر إلى بيلاروسيا بحثا عن عمل، ويقول آخر إنه متوجه إلى هناك بغرض السياحة. معظمهم يحملون جوازات سفر من سوريا المجاورة، وليس هناك شك في أن الرحلة من مينسك ستؤدي إلى الحدود البولندية بغرض الوصول إلى الاتحاد الأوروبي.. رحلة خطيرة وشاقة بنتائج غير مؤكدة.

الأمر قد يبدو للبعض وكأنه رحلة منظمة. مجموعة من الشباب يحملون جوازات سفر سورية يخرجون من حافلة صغيرة. يعطيهم شخص يكبرهم سنا قليلا تعليمات، مؤكدا عليهم أن أهم شيء هو جوازات السفر، وألا يزيد وزن حقائب اليد عن سبعة كيلوغرامات، ثم يتفرق الجمع للتوجه إلى تسجيل الوصول.

على غرار هؤلاء الشباب، يشق الآلاف من الأشخاص من دول عربية أخرى منذ أسابيع طريقهم نحو الاتحاد الأوروبي وخاصة إلى ألمانيا عبر بيلاروسيا. ومن بين هؤلاء لبنانيون والعديد من السوريين، وكذلك أكراد من شمال العراق يريد جميعهم المغادرة على أمل حياة أفضل، فأوطانهم متعثرة في أزمات لا تنتهي منذ سنوات، بل وتزداد سوءا، وآخرها بسبب كورونا.

الوضع في لبنان على سبيل المثال يزداد سوءا يوما بعد يوم. فعقب عامين من الأزمة الاقتصادية وجائحة كورونا والانفجار الهائل في مرفأ بيروت، يعيش ثلاثة أرباع السكان حاليا في فقر. هناك يكافح حوالي 1.5 مليون لاجئ سوري، وكذلك أيضا الكثير من اللبنانيين، يوميا من أجل البقاء على قيد الحياة، بينما تنشغل النخبة الفاسدة في صراعات على السلطة بدلا من القلق بشأن الإصلاحات التي تشتد الحاجة إليها.

وحذر خبير في الأمم المتحدة يوم الجمعة الماضي من أن لبنان في طريقه لأن يصبح دولة فاشلة. واللبنانيون يحاولون بأعداد كبيرة مغادرة البلاد.

وكما هو الحال في لبنان تدفع الأزمة الاقتصادية في سوريا المزيد والمزيد من الناس إلى براثن الفقر. وضربت أزمة الجوع البلاد، وتفاقمت هذا العام بسبب جفاف مستمر منذ شهور. ودُمرت العديد من المناطق في البلاد على نحو بالغ، بينما تفتقر حكومة الرئيس بشار الأسد إلى الأموال لإعادة الإعمار.

في المناطق الكردية المستقرة سياسيا نسبيا في العراق يشكو الشباب على وجه الخصوص من عدم عثورهم على فرص عمل. ولا تزال المنطقة تعاني من تداعيات القتال ضد تنظيم داعش الإرهابي الذي توغل بالقرب من أربيل عاصمة إقليم كردستان ولا يزال نشطا في العراق.

وذكرت شبكة "روداو" الإعلامية الكردية أن العديد من اللاجئين ينحدرون من المنطقة الواقعة على الحدود مع تركيا، حيث يقاتل الجيش التركي ضد حزب العمال الكردستاني. ومن بين هؤلاء أيضا أفراد من الأقلية الدينية الإيزيدية، الذين تعرضوا للاضطهاد والخطف والإيذاء والقتل على يد تنظيم داعش. ولا يزال الكثير منهم يشعرون بالتمييز ضدهم.

وأوقف العراق جميع الرحلات الجوية المباشرة إلى بيلاروسيا في أغسطس الماضي للحد من عدد المهاجرين، إلا أنهم يصلون إلى مينسك عبر مطارات أخرى.

ويروي كردي في أوائل الثلاثينات من عمره أنه اتفق مع مجموعة من مهربي البشر على نقله إلى ألمانيا عبر تركيا وبيلاروسيا، مضيفا أنه اضطر إلى دفع 10 آلاف دولار مقابل ذلك، وقال "لدي العديد من الأقارب الذين فروا ويعيشون في سلام وأمان في ألمانيا (...) إذا وصلت إلى هناك، سوف يتحقق حلمي"، موضحا أن رحلته ستبدأ بمجرد الحصول على تأشيرة من تركيا.

الوضع في لبنان يزداد سوءا يوما بعد يوم، ويعيش ثلاثة أرباع السكان في فقر ويصارعون من أجل البقاء على قيد الحياة

وفي الأيام القليلة الماضية لوحظت في مطار إسطنبول مشاهد شبيهة بتلك الموجودة في بيروت، حيث وقفت مجموعة من الشباب يحملون حقائب ظهر ممتلئة يوم الخميس الماضي بجانب مكتب تسجيل الوصول إلى مينسك. كانت المجموعة تتحدث الكردية وسلم مرافقان وثائق لأفراد المجموعة. هل هؤلاء مهاجرون متجهون نحو أوروبا؟ رفض الشباب التحدث وكانوا على عجلة من أمرهم.

في المقابل تحدث السوري محمد بصراحة عن خططه، فهو يريد الذهاب من إسطنبول إلى مينسك، ثم إلى بولندا وألمانيا. وقال الشاب البالغ من العمر 22 عاما إنه حاول فعل ذلك قبل شهرين، لكنه فشل بسبب مشكلات في الحصول على التأشيرة.

في ذلك الحين قامت شركة وسيطة بتنظيم رحلة مقابل 3200 دولار تشمل تذكرة طيران وتأشيرة وحجزا في فندق لقضاء أربعة إلى خمسة أيام في مينسك. وكان الشاب يخطط في ذلك الحين لأن يشق طريقه إلى الحدود بمفرده.

الآن يريد الشاب تغيير خططه وتجربتها عبر سوريا، فمنذ يوم الجمعة الماضي وبعد ضغوط دولية لم تعد تركيا تسمح لمواطني العديد من الدول العربية بالسفر إلى بيلاروسيا. لكن شركة "أجنحة الشام" للطيران السورية أعلنت أيضا أنها ستعلق رحلاتها إلى العاصمة البيلاروسية.

الظروف ليست مهمة، المهم العبور إلى أوروبا